بهلول باشا (بايزيد) إلى الجيش الروسي دون قتال، ومن ثم استطاعت الجيوش الروسية ان تقوم بحملة على باشلك موش، حيث سيطرت القوات الروسية على سنجقي الشكرد وبايزيد نتيجة تلك العمليات العسكرية، واقدم باسكيفيج على بعض الخطوات لكسب رؤساء العشائر الكوردية إلى جانب روسيا استعدادا للهجوم على أرضروم[٤٦].

عملت القوات الروسية على تحريض الكورد وإرسالهم إلى آمد وسيواس وذلك لأشغال قسم من القوات العثمانية، ومن اجل تخفيف الضغط على قواتهم، ومن الخطوات الأخرى التي حاول فيها الروس كسب الزعماء الكورد هو الاتصال بكل من (أمين باشا) حاكم موش و(حسين اغا) رئيس عشيرة زيلاني و(سليمان اغا) رئيس عشيرة سبكي للتعاون معهم مقابل التعهد بمنحهم مناصب جيدة في بايزيد أو يريفان، إلا انه لم يتم الاتفاق بين الجانبين، ولكن نجح الروس في إبقاء جزء من الكورد على الحياد، حيث اعتبر ذلك مكسبا مهما للروس، ومن جانبه نجح (باسكيفيج) من الحصول على موافقة القيصر وتخويله بتوزيع (مئة ألف روبل ذهب) كمكافئات لرؤساء العشائر الكوردية عند تحولهم إلى جانب الروس[٤٧].

احتلت القوات الروسية ملازكرد وخنس بنهاية أيلول ١٨٢٩م ودخلت موش بعد شهر، حيث لم يبد السكان أية مقاومة تذكر خلال تلك العمليات العسكرية.

يري محمد أمين زكي: إن التوغل الروسي في كوردستان أتاح الفرصة أما الروس لدراسة الكورد، وعندما اقتنع الروس من مقدرتهم العسكرية ومن أهميتهم في الصراع فانهم حالوا كسبهم وتشجيعهم على الهجرة إلى روسيا، وفعلا هاجرت بعض القبائل الكوردية إلى القفقاس[٤٨]. وهكذا أصبحت روسيا التي اقتربت من كوردستان بداية القرن التاسع عشر تضم جزءا منها بنهاية العقد الثالث من ذلك القرن[٤٩].

عندما أوشكت الحرب الروسية - العثمانية على نهايتها فان (باسكيفيج) أكد للقيادة الروسية في مذكرتين في تموز ١٨٢٨م وحزيران ١٨٢٩م على ضرورة الاحتفاظ بمنطقة بايزيد وعدم الانسحاب منها، لأنها ستؤمن لروسيا ((ضمان نفوذ

واسع بين الكورد ... ويقوي نفوذ روسيا في كوردستان الشمالية وفي حالة وقوع الحرب يمكن الحصول على جيش إضافي غفير من الفرسان المعتبرين احسن فرسان أسيا))[٥٠].

وقعت روسيا والدولة العثمانية على معاهدة (أدرنه) في كانون الأول ١٨٢٩م وبموجبها انسحبت الجيوش الروسية ن المناطق التي احتلتها من كوردستان العثمانية وعادت السلطة العثمانية إليها من جديد، كما سمحت الدولة العثمانية بموجبها للروس بحماية المسيحيين الارثدوكس في الولايات العثمانية(٥١)، وبذلك يتبين انه خلال الصراع الروسي - العثماني حاول كل من الجانبين كسب الكورد إلى جانبه واستغلالهم في الصراع ضد الجانب الأخر، بينما حاول الكورد استغلال الصراع بين الدولتين لصالحهم[٥٢].

يصف افريانوف أهمية الكورد بالنسبة لروسيا وخاصة في صراعاتهم القادمة فيذكر ((اشترك الأكراد دوما في ميادين القفقاس ... جاء اشتراكهم في البداية كأعداء لنا فقط، وفيما بعد كحلفاء أيضا. ما من شك في انه خلال حروبنا المقبلة في أسيا الصغرى سنضطر للاحتكاك مرارا بهذا الشعب الكبير التواق للحرية))[٥٣].

في الثلاثينات من القرن التاسع عشر قدمت روسيا مساعدات عسكرية لإيران لإنهاء حكم الأمير محمد في رواندوز(٥٤). كما أن الروس استمروا في جهودهم لإعداد الدراسات حول الكورد ومنها جهود الضابط الروسي (س. بروسكورياكوف) والذي اعد خرائط تفصيلية عن منطقة أرضروم منذ سنة ١٨٤٢م وفي السنة نفسها قام (وليام ديتيل) و(أيليا بيريزين) بجولات في الشرق ودونّا معلومات مهمة ودقيقة عن حياة الكورد وعاداتهم وعلاقاتهم بجيرانهم[٥٥].

ثالثا: نفوذ الدول الأخرى

تأخر تغلغل نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية في الدولة العثمانية حتى أوائل القرن التاسع عشر، ولم يبلغ نفوذها ما بلغه نفوذ الدول الأوروبية العظمى وذلك لعدم حاجة التجارة الأمريكية آنذاك إلى أسواق الدولة العثمانية، وكانت تواجه منافسة قوية من الدول الأوروبية، ويمكن إضافة عامل البعد الجغرافي لأمريكا من الدولة العثمانية وعدم وجود وسائل المواصلات المتطورة، بالإضافة إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت حينذاك لا تزال دولة ناشئة وتتبع مبدأ العزلة السياسية والدبلوماسية، فأقامت أمريكا العلاقات الدبلوماسية مع الدولة العثمانية سنة ١٨٢٤م[٥٦]،وبعد ست سنوات أي سنة ١٨٣٠م وقعت معها معاهدة للتبادل التجاري سميت (بالمعاهدة التجارية البحرية) حيث أصبحت أمريكا بموجبها تتمتع بنظام الامتيازات[٥٧]، وبدأت النشاطات الأمريكية في مجال التبشير والمؤسسات الخيرية أوائل القرن التاسع عشر وتطورت تلك النشاطات ببطء بسبب المعارضة القوية لها من الدول الأوروبية وخاصة روسيا وفرنسا[٥٨].

لعبت المؤسسات والإرساليات الأمريكية دورا كبيرا في إيجاد المجال الملائم لأمريكا بالتوغل في الشرق، ففي حزيران ١٨١٠م تم تنظيم (المكتب الأمريكي لشؤون الإرساليات الأجنبية) وقرر المكتب إرسال المبشرين (ل. بارسون وفاك) إلى الدولة العثمانية لرصد الأمور ودراسة الأوضاع كما قام المكتب بإيفاد الأطباء إلى بعثاتهم في الشرق[٥٩]،وكان من أهم تلك الإرساليات (الإرسالية الإنجيلية الأمريكية) التي عملت في الشرق منذ سنة ١٨١٦م. لا شك إن عمل تلك الإرساليات كان عاملا مساعدا لتقوية النفوذ الأمريكي في الشرق، فقد بعثت إحدى المؤسسات الأمريكية (ليفي بارسنز) و (بليني فسك) سنة ١٨١٨م إلى الشرق لدراسة القضايا المتعلقة بنشاط المؤسسات الأمريكية[٦٠].

قطعت أمريكا شوطا كبيرا في مجال التبشير وسبقت نشاط معظم الدول الأوروبية ماعدا فرنسا[٦١]، وفي هذا الاتجاه أرسلت أمريكا المبشرين (دوايت) و (سميث) إلى كوردستان، لزيارة المناطق التي يسكنها الاثوريون للعمل على إقامة

بعثات دائمة في مناطقهم حيث استمرت مهمتهما سنة ١٨٣٠-١٨٣١م. وارسلت بعثة أخرى برئاسة (جوستن بيركنس) إلى أورميه وأرضروم وذلك سنة ١٨٣٨م[٦٢]، ومن البعثات الأمريكية الأخرى تلك التي ترأسها الطبيب والمبشر (كرانت) والتي أوفدها (مجلس البعثات البروتستانتية الأمريكية) سنة ١٨٣٥م، حيث توغل كرانت بين القبائل المسيحية والكوردية واتخذ من أورميه مقرا لعمله وقضي هو وعائلته ست سنوات في كوردستان وأقام علاقات صداقة مع المار شمعون وحاكم هكاري نور الله بك أثناء زيارته للمنطقة سنة ١٨٣٩م[٦٣]، وفي الزيارة الثانية له سنة ١٨٤٢م ناقش معهم خططه في بناء عدة مراكز للتبشير وانه سيلتحق به مجموعة أخرى من المبشرين الأمريكان، وقام ببناء مركز تبشيري في قرية (آشيتا) في منطقة تياري والذي اصبح مركز خلاف وأثار مخاوف الكورد[٦٤].

استغل المبشرون الأمريكيون نشاطاتهم التبشيرية لتحقيق أهدافهم الاقتصادية والسياسية الأخرى، ويؤكد بارمتي ذلك فيذكر انه ((لم يقتصر نشاط المبشرين الأمريكيين على الديانة والإيديولوجية فقط، بل كانوا مثلهم مثل بقية المبشرين الأوروبيين يعملون كوكلاء لشركات ومصانع روجوا لبضائعها في البلدان المرتبطة اقتصاديا بها))[٦٥].

كانت المنظمات الأمريكية تقوم بالدور القيادي في مجال التبشير وأصبحت تلك المنظمات تمهد لتوسيع النفوذ الأمريكي في المنطقة، وذلك لان أمريكا لم تكن تملك قاعدة عسكرية واقتصادية لدعم نشاطها الاستعماري في المنطقة، لذلك كانت الجمعيات التبشيرية الأمريكية تصرف أموالا هائلة لتحقيق أهدافها، وعندما استقر الكثير من المبشرين الأمريكيين في المناطق التي يسكنها المسيحيين في الدولة العثمانية، فاصبح عند ذلك بالإمكان مشاهدتهم في مدن كوردستان المختلفة مثل (وان وأرضروم وماردين وبدليس وغيرها)، بالإضافة إلى انتشار مواد الدعاية الأمريكية بشكل واسع في كوردستان[٦٦]. ويمكننا ملاحظة ازدياد النشاط التبشيري للمبشرين الأمريكيين في كوردستان خلال القرن التاسع عشر من الجدول أدناه[٦٧]:-

((مدارس التبشير الأمريكية في كوردستان))

السنوات	عدد المدارس	عدد الطلبة
١٨٤٧-١٨٣٧	٢٤	٥٣٠
١٨٥٧-١٨٤٧	٥٠	٤٩٨
١٨٦٧-١٨٥٧	٥١	١٠٩٦
١٨٧٧-١٨٦٧	٥٨	٢٠٢٤
١٨٨٧-١٨٧٧	٨١	١٨٣٣
١٨٩٥-١٨٨٧	١١٧	٢٤١٠

كان الصراع الرئيسي على النفوذ في الدولة العثمانية بين الدول الأوروبية يدور بين بريطانيا وروسيا وفرنسا، إلا أن الدول الأخرى حاولت أيضا أن تجد لها نفوذا في الدولة العثمانية ونصيبا في ممتلكات الإمبراطورية، لذلك سعت كل حسب إمكانياتها لتوسيع نفوذها في الممتلكات العثمانية والتغلغل في مختلف المجالات العسكرية والاقتصادية والسياسية ومنها فرنسا وإيطاليا وغيرها.

تعود العلاقات الفرنسية - العثمانية إلى القرن السادس عشر الميلادي حيث أرسلت فرنسا أول سفير لها إلى الدولة العثمانية سنة ١٥٢٥م[٦٨]، وتطورت العلاقات بينهما حيث اشترك الخبراء الفرنسيين في تحديث الجيش العثماني[٦٩]، ورغم العلاقات الفرنسية - العثمانية الجيدة، إلا إن ذلك لم يمنع فرنسا من احتلال مصر سنة ١٧٩٨م، وكجزء من صراعها مع بريطانيا ولقطع الطريق بين بريطانيا والهند[٧٠].

أما في كوردستان فقد فتحت البعثات التبشيرية الفرنسية مراكز لها في مختلف مناطق كوردستان حيث كانت بعثاتها الكاثوليكية من انشط البعثات العاملة في (الموصل وأرضروم وآمد وخربوط وسيرت) وغيرها من المدن وكان انشط تلك المراكز التبشيرية الفرنسية هو المركز الموجود في مدينة الموصل[٧١]. فمنذ القرن السابع عشر جاءت بعثة تبشيرية فرنسية برئاسة (جان باتيست) وأقامت مراكز

تبشيرية في الموصل وحلب والنقاط الواقعة بينهما، وكان جان باتيست يقدم الخدمات الطبية أيضا حيث استفاد من ذلك في فتح مركز تبشيري في آمد، فبينما كان يسير على الطريق بين الموصل وحلب استوقفه الكورد وطلبوا منه معالجة باشاهم واخيه، وعندما نجح في مهمته، كرطمه الباشا بالسماح له بفتح مركز تبشيري، ونتيجة لخدماته الكبيرة التي قام بها جان باتيست فان البابا عينه سنة ١٦٦٨م مديرا على جميع المبشرين في الشرق وكان ضمن بعثته الأب (جوستنيان) الذي كان يتقن اللغة العربية ويفهم بعض الكوردية حيث ساعده الأرمن للقيام بنشاطه بين الكورد الايزديين قرب حلب[٧٢].

منذ القرن الثامن عشر اهتم الألمان أيضا بجمع المعلومات عن الكورد وكوردستان، حيث كتب الكثير من الرحالة والمستشرقون الألمان عن الأمور المتعلقة بالكورد، وكان هذا الاهتمام يتزايد ضمن سياق زيادة نفوذهم وتوسعهم في الدولة العثمانية، فمع بداية القرن التاسع عشر بدا الاحتكاك المباشر للخبراء والمسؤولين الألمان الذين كانوا يشرفون على أجهزة الدولة العثمانية، بالشعب الكوردي، ويكفي الإشارة إلى الخبير العسكري المعروف هلموت فون مولتكه (١٨٠٠-١٨٩١م) الذي عمل على تنظيم الجيش العثماني للفترة من ١٨٣٤-١٨٣٩م واضطر إلى خوض المعارك ضد الكورد كمفتش في جيش حافظ باشا ونقل صورا حية عن معاناة الشعب الكوردي في ظل الحكم العثماني[٧٣]. من جانب أخر فان الإرساليات التبشيرية الإيطالية كانت هي الأخري تعمل بجد ونشاط لإيجاد نفوذ لها حيث كانت تجلب الأطباء معها، وكانوا يقيمون عن طريق الخدمات الطبية التي يقدمونها العلاقات مع الزعماء الكورد، وهكذا كانت الإرسالية التبشيرية الإيطالية في الموصل والتي تأسست سنة ١٧٥٠م، وكان يتقدم الإرسالية طبيبان مبشران هما (فرنسيسكو توریاتي ودومينكو كوديلنشيني) حيث قام الأول بتقديم خدماته لأحد أقرباء حاكم ئاميدي سنة ١٧٥٣م، وزاد نشاطهم بين النساطرة في ئاميدي بين ١٧٥٩-١٧٧٩م[٧٤]. وبالرغم من مشاكلهم المالية، إلا انهم استمروا بالعمل حتى سنة ١٨١٥م حيث غادروا الموصل ولكنهم عادوا سنة ١٨٤٠ وكان من انشط

مبشريهم حينذاك الأب (أوغسطين ماركيي)[٧٥]. ومن جانب أخر فان منظمة (بعثة باسيل) السويسرية قامت هي الأخرى بإرسال بعثة إلى كوردستان سنة ١٨٣٤م مؤلفة من (كريستيان كوتليب هورنل و ف. ي. شنايدر) ثم انضم إليهم المبشر (كريستيان فردريك هيس) فقاموا بدراسة اللهجات الكوردية والبدء بمشروع ترجمة الكتاب المقدس[٧٦].

الهوامش

(١)

Zaki Saleh ،Origins of British influence in Mesopotamia ،Colombia ،University Press ،New York،1941 ،Pp.1-2

ريدر بولارد، بريطانيا والشرق الاوسط من اقدم العصور حتى ١٩٥٢، ت: حسن احمد السلمان، بغداد، ١٩٥٧، ص ص ٩-١٠.

(٢) للتفاصيل ينظر: عبد العزيز سليمان نوار، المصالح البريطانية في انهار العراق ١٦٠٠-١٩١٤م، القاهرة، ١٩٦٨، ص ص ٢٥-٢٦.

(٣) توريانتز، المصدر السابق، ص ص ٧٣-٧٤.

(٤) جورج خوري، المصالح الاستعمارية البريطانية والحفاظ على الامبراطورية العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، العددان ٤١-٤٢، ١٩٩٢، ص٨٩.

(٥)

P.524 ،Cit.OP ،Every

(٦) كاوس قه فتان، بابان ... سوران ... بوتان، ص٦٣.

(٧) كمال مظهر احمد، كوردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، ص٣٣.

(٨) هارفورد جونز (١٧٦٤-١٧٩٤م) دخل في خدمة الشركة ككاتب في حكومة بومباي وخدم كمساعد للمقيم في البصرة للفترة (١٧٨٤-١٧٩٤م). صالح محمد العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨-١٨١٠، بغداد، ١٩٧٩، ص٩٨ : وللتفاصيل ينظر: باسم حطاب الطعمة، تغلغل النفوذ البريطاني في العراق ١٧٩٨-١٨٣١ : رسالة ماجستير مقدمة لمجلس كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٥، ص٥٠ وما بعدها..

(٩) علاء موسي كاظم نورس، الدبلوماسية البريطانية في العراق (١٨٠٨-١٨٢٣م)، مجلة افاق عربية، العدد ١٢، ١٩٨٠، ص ١٠٥.

(١٠) خالفين، المصدر السابق، ص٢٨.

(١١)

.40-41. Cit Op ،Glubb

(١٢) خالفين، المصدر السابق، ص ص ٢٩-٣٠.

(١٣) المصدر نفسه، ص٣٢.

(١٤) للتفاصيل عن دوره ينظر: الفصل الثاني، المبحث الثالث.

(١٥) نورا كوبي، الطريق إلى نينوي، ت: سلسل محمد العاني، بغداد، ١٩٩٨، ص٢٠٨.

(١٦) للتفاصيل ينظر: فواز مطر نصيف الدليمي، تغلغل النفوذ البريطاني في العراق (١٨٦٩-١٩١٤) رسالة ماجستير مقدمة لمجلس كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص٤١ ومابعدها.

(١٧) فرنسيس رودون جيسني (١٧٨٩-١٨٧٢م) وصل الدولة العثمانية ضمن بعثة حكومته للمشاركة في حرب سنة ١٨٢٩م ضد روسيا، وبوصوله انتهت الحرب فكلفه السير (روبرت كوردون) سفير بريطانيا في استنبول للقيام بعدة دراسات حول طرق الوصول إلى الهند ومنها دراسة إمكانية الملاحة في نهري دجلة والفرات،
Affairs British in Study 1600-1914,A ،(Iraq) Mesopotamia ،Saleh Zaki ،Baghdad،1957 ،P150.

(١٨) خالفين، المصدر السابق، ص٣٤.

(١٩) المصدر نفسه، ص٣٦.

(٢٠) نقلا عن:
Kelly، Cit .OP، P265.

(٢١) للتفاصيل عن بعثته ينظر:
Saleh، Mesopotamia...، PP151 157.

(٢٢) خالفين، المصدر السابق، ص ص ٦٥-٦٦.

(٢٣) نعيم اليافي وخليل موسى، نضال العرب والأرمن ضد الاستعمار العثماني، اللاذقية، ١٩٩٥، ص٢٨.

(٢٤) بارمتي، تاريخ الاثوريين، ص٢٠ : جليل، من تاريخ الإمارات ...، ص١١٦.

(٢٥) مصطفي خالدي وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، بيروت، ١٩٨٦، ص١١٦.

(٢٦)
Shaw، Cit .OP، P 126.

(٢٧) جليل، من تاريخ الإمارات ...، ص ١٢٦.

(٢٨) ريبوار عبد الرحمن، هل بدأ التنصير بين الأكراد، مجلة ئالاي ئيسلام، العددان ٣-٤، ١٩٩٩، ص٢٥.

(٢٩)
Blincoe، Cit .Op، P38.

(٣٠) هومي، المصدر السابق، ص ٤٣.

(٣١) بار متي، الآشوريين ...، ص٦٩.

(٣٢) أبو بكر، أكراد الملي ...، ص ٩.

(٣٣) ايشو مالك خليل جوارو، الآشوريين في التاريخ، ت: سليم واكيم، بيروت، ١٩٦٢، ص١٦٢ : وللتفاصيل ينظر: صالح خضر محمد الدليمي، المصدر السابق، ص٤٤.

(٣٤)
Blincoe، Cit .Op، P26.

(٣٥) نقلا عن: جليل، تاريخ الإمارات ...، ص١٣١ : جوارو، المصدر السابق، ص١٦٣.
(٣٦) احمد سوسة، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، بغداد، ١٩٧٨، ص١٢٠.
(٣٧) نقلا عن: خالفين، المصدر السابق، ص٧٠.
(٣٨) محمد حسن العلية،أواسط أسيا الإسلامية بين الانقضاض الروسي والحذر البريطاني،الدوحة ،١٩٨٦، ص٢٥.
(٣٩) عثمان على، المصدر السابق، ص٢٣.
(٤٠) دانتسيغ، المصدر السابق، ص ص ٣٦، ٥١-٥٦.
(٤١) لازاريف، چەند كێشەیەكی ...، ص ص ٤٠٥-٤٠٦.
(٤٢) ئارام على، پەیوەندی لە نیوان كورد وروسیا (كوردستانی قەفقاز یا سوفیتی)، چاپخانەی لیرە، سلیمانی، ١٩٩٩، ص ٤٤.
(٤٣) زكي، خلاصة ...، ص ٢٦٦.
(٤٤) قاسملو، المصدر السابق، ص ٥١.
(٤٥) عثمان على، المصدر السابق، ص ٢١.
(٤٦) خالفين، المصدر السابق، ص ٤٤ : عثمان على، المصدر السابق، ص٢٢.
(٤٧) المصدر نفسه، ص ٤٥ : ئارام على، المصدر السابق، ص٤٥.
(٤٨) خلاصة ...، ص٢٦٧.
(٤٩) لازاريف، كیشەی كورد ...، ص٤٧.
(٥٠) نقلا عن: خالفين، المصدر السابق، ص١٤٧.
(٥١) للتفاصيل ينظر: كوكجه، المصدر السابق، ص ص ٣٠٦-٣٠٧ : خيرية قاسمية، روسية القيصرية والمشرق العربي، مجلة دراسات تاريخية، العددان ٩-١٠، جامعة دمشق، ١٩٨٢، ص٤٦.
(٥٢) عثمان علي، المصدر السابق، ص٢٠.
(٥٣) نقلا عن: كمال مظهر احمد، كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، ص٤٩.
(٥٤) للتفاصيل ينظر: الفصل الثاني، المبحث الثالث.
(٥٥) كمال مظهر احمد، كوردستان في سنوات الحرب العالمية الاولي، ص ص ٤٥، ٥٨-٥٩.
(٥٦) كمال مظهر احمد، أضواء على قضايا دولية في الشرق الأوسط، بغداد، ١٩٧٨، ص ص ٣١-٣٢ وكوردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، ص٦٨.
(٥٧) توريانتز، المصدر السابق، ص٧٩.
(٥٨) كمال مظهر احمد، حول تغلغل النفوذ الأمريكي في الشرق الأوسط وبنود الرئيس ولسن، مجلة أفاق عربية، العدد ٣، تشرين الثاني ١٩٧٦، ص١٠٦، وأضواء على قضايا ...، ص٣٢.
(٥٩) بار متي، الآشوريين ...، ص ص ٦٦-٦٧.